بحثنا هذا هو محاولة للتحليق أسلوبيا في قصيدة لعلم من أعلام الشعر العربي بعامة والشعر الأندلسي بخاصة، وهي معنونة " **بمنـار الـدين وعـروته"**

فبدأنا الدراسة بلمحة عن مفهوم الأسلوبية والأسلوب، وقد حاولنا أيضا إماطة اللثام عن مجال الأسلوبية، لكننا لم نبتعد كثيرا، حيث أدركنا بأن مجال الأسلوبية هو مجال خاص بالنص الأدبي، لأن القواعد الأسلوبية تمخضت من النص لتعود إليه.

بعد ذلك انتقلنا إلى الجانب التطبيقي الذي توصلنا من خلاله إلى الغوص في بعض المستويات الخاصة به، فكانت النتائج المتوصل إليها كالتالي:

1/ ففي البنية الصوتية غلبت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة، وكذلك الأصوات الانفجارية على الأصوات الرخوة، وذلك يدل على أن الشاعر في حالة ثورة داخلية، حتى وإن لم يكن صاخبا، فجل الأصوات دلت على أنه يتكلم بشدة وحزم، ومن هنا فهو يعبر عن مواقف دغدغت إحساسه وألهبت مشاعره فنقلها لنا عبر الأصوات الموظفة بكامل حيثياتها لتؤثر قي المتلقي .

لذلك عايشنا الشاعر في كل خطوة من خطوات قصيدته، فإن ثار نثور، وإن تألم وحزن نتألم ونحزن معه، وإن لمسنا نوعا من الفرح والتفاؤل حتى وإن كانا من النادر فإننا نحس معه هذا الإحساس الذي أثارته الأصوات الموظفة بإحكام ودقة.

2/ أما فيما يخص البنية الصرفية فوظفت جل الأوزان المعبرة عن العديد من الأفعال، فكانت القصيدة زاخرة بأنواع الأفعال،كما كانت دلالتها حركية انتقالية، سواء تعلق الأمر بالذهاب والإياب، أو الحركة أفقية الاتجاه، أو الحركة المطلقة، وكذلك أفعال التأكيد الدالة على الحزم والشدة، كما أن الشاعر استطاع توظيف أفعال على أوزان تدل على تعدد الحالات والاتجاهات، مثل: الأفعال الدالة على الفرح والحزن والخوف في الوقت نفسه.

وبهذا استطاع الشاعر بتنويعه للأوزان أن يجعل قصيدته ثرية بالأفعال المصورة للحالات المتضادة ، وهذا ما أكسب السياق نوعا من الحوارية بين الأفعال منتقلا إلى الحالات المعبر عنها .

3/ أما الجانب التركيبي المتمثل في البنية النحوية والبلاغية فكان الزمن النحوي المعبر عنه بزمن المضارع، وزمن الماضي، مكننا كل منهما من التحديد والدقة والربط بالزمن التاريخي، ومن هذه الأثناء كان كلام الشاعر موجها إلى الماضي ولكنه عبر عنه بالحاضر وهذا التداخل في الزمن رسم علاقة وثيقة وتواصلية امتدادية معبرة عن تواصل واستمرار الحياة والوجود ، فاتضحت صورة تلك العلاقة ومعالمها بين حدود الزمن النحوي والتاريخي، فكان يصف الحالات والأعمال التي حدثت في الماضي بصورة الحاضر، ويتمنى أن تطبق في المستقبل وهذا ينسحب على الأعمال التي وصفها الشاعر وهي خاصة بالممدوح.

إذن فنظرة الشاعر شمولية، منبثقة ونابعة من البصيرة النافذة لا نظرة البصر العادي.

4/ إن توظيف الصور الشعرية لها دلالة قطعية على مدى تحكم الشاعر في لغته ، ومدى علمه بعمق الإيحاءات والصور التي اختارها كي تنقل ما أراد نقله، فكانت هذه الصور بمثابة لوحات زيتية تفنن الرسام في هندسة ألوانها فكانت صورا باهرة أبهرت المتلقي ولم تدعه يرحل قبل التأمل والتمتع بجلالها لأنها تنقله من عالم أكثر واقعية إلى عالم أكثر حرية عالم الخيال الفسيح الموحي والمغري في الوقت ذاته .

5/ أما النقطة الخامسة ، وهي من أهم النقاط، وتخص البنية الدلالية فاختار الشاعر العديد من الألفاظ ، وكانت ألفاظا موحية ومعبرة عن نفسها وعن الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه، فكانت بعض الكلمات التي توحي بالشاعرية فياضة بارزة ، مفردة القلب – يستطيع الشاعر توظيفها في عدة حقول دلالية ، فإن صنفت في حقل الألفاظ المعبرة عن أعضاء الإنسان أدت دورها لأنها مركز الأعضاء، وإن صنفت في حقل الألفاظ المعبرة عن " الحب" .

أدت الدور الذي وظفت من أجله لأنها مركز الإحساس ومقر النبض ففي هذه الحالة تظهر براعة الشاعر في مدى حسن اختياره للألفاظ المعبرة.

كما نوع الشاعر في تعدد الحقول الدلالية مما يجعل المتلقي وكأنه في سفر ينتقل من مركبة إلى أخرى فلا يحس لا بالملل ولا بالعياء، فمرة تجده على الأرض بين حشائشها وأشجارها ، ومرة تجده في الأجواء يغازل الرعد والبرق والأنجم، وهو هكذا حتى تناديه البيداء الموحشة يلفحه هجيرها فيشعر بنوع من الملل ، ولكن لا يطول مله حتى يرى نفسه يتأمل البحر وأمواجه العاتية .

هذا الانتقال السريع كان وليد تداخل هذه الصورة التي عبرت عنها الألفاظ الموظفة والمنتمية على عدة حقول متنوعة ولكنها متداخلة.

كما وظف الشاعر الترابط التقابلي مع تكراره لعدة ألفاظ، فكان بذلك يقرب المعنى أكثر من القارئ، وبذلك يساعدانه على الوصول إلى المعنى من جهة، وما يرسمانه من صور جمالية ونقلا للدلالة مع تأثر المتلقي وأسره من جهة ثانية.

6/ لقد وجدنا في هذه المحاولة البسيطة البنيات مترابطة متلاحمة يكمل بعضها البعض الآخر، فالأصوات معبرة عن الثورة والشدة والتأثر والتأثير، وفي الجانب الصرفي وظف الشاعر أفعال القصيدة على منوال أوزان صالحة لجميع الجهات ومؤدية لعدة معان ودلائل، وفي الجانب النحوي ربط الشاعر الأزمان الثلاثة في حلقة واحدة وهذا دليل على التواصل والاستمرار وكان كل هذا معبرا عنه بأجمل الصور وأبدع التشبيهات وجاءت الألفاظ الموظفة منتمية لعدة حقول دلالية .

وما لاحظناه يدل على دقة تعبيرية وبراعة تصويرية فكانت القصيدة بناء هيكليا ، وهذا التكامل يدل على سعة الخيال وعمق التجارب وشاعرية فذة، وتحكم في البناء العام للقصيدة من أولها إلى آخرها كما نرى بأن القصيدة لا زالت زاخرة بأنواع كثيرة من المعاني والدلائل وما حاولنا مداعبته في هذه القصيدة إلا بعض من الفتاة كما أنها تبقى مجرد محاولة تطفو على السطح، فالنصوص تبقى تحتاج منا إلى دراسات معمقة حتى نصل إلى أعماقها الحقيقية، وما هذه إلا محاولة .